زكاة الحب

للاستاذ صدر الدين أحمد

كان كل شيء في داخل البيت هاجعاً الا .. هي ، اذ كانت على موعد مع الفتى ، وحان الموعد بعد منتصف الليل ولم يجيء فتاها ، فبدأت تشعر بالقلق يساورها ويقض نياط قلبها ، ثم بدأت تهجس كأنما القلق تحول الى شيء يشد على خياشيمها ليكتم نحيباً يوشك ان ينفجر . يا إلهي! ماذا ارجأ (عبدالله) ان يجيء في هذه الليلة ؟ أترتاه أصيب بالدنف ، ام ان ميقات اللقاء لم يأزف بعد ؟

واسندت رأسها الى رتاج الباب وجعلت تفكر ، وتضرب خاطرا بخاطر حتى كادت تيأس لولا انها لمحت في الظلام شبحاً يتسلل الى غرفتها ، وصوتاً خافتاً يدعوها :

— عفراء .. هل انت هاجعة ؟

— لا يا عبد الله .. وانما .. وانا انا متلهفة على ما تاك منذ ساعة طويلة .. فماذا ابطأك عني ؟

وهمّ الفتى ان يعتذر عن ابطائه ، الا ان انفاسه اللاهثة تزاحمت في حلقه ، ثم تدافعت في سعال مزعج ، واذا بالصدى يتردد ويتضاخم عالياً ، ثم لم يلبث ان يوقظ النيام فينذرهم بان شيئاً يجري في غرفة عفراء .

قال الاصمعي (١)

دخلت يوماً على امير البصرة « خالد بن عبد الله القسري » فابصرت نفرا من الناس متحلقين بشاب جميل الطلعة ذي هيبة وروعة ووقار .. فسألهم خالد عن امره فقال قائلهم : هذا لص قبضنا عليه البارحة في منزلنا ، وقد جئناك به لتقطع فيه شأفة الاجرام .

فقال لهم : دعوه ، اذن ، وشأني

ثم اقبل عليه مليا يسائله :

— اصحيح انك سطوت البارحة على منزل هؤلاء القوم ؟

— نعم .

— وماذا اغراك بذلك وانت في هيأة تغنيك عن اللصاصة ؟

— اغراني بذلك حب المال ولذة السطو !

— ثكلتك امك ، اما كان في جمال وجهك وزكانة لسانك زاجر لك عن اللصاصة ؟

— دع عنك اللجاجة ايها الامير ، واحكم بما عساني استحق من العقاب .

— ولكن اعترافك الناجز يلقي الشك في نفسي ، وانا ما اظنك لصاً ، بل ان لك قصة اخرى .

— كلا ايها الامير ولا يقع في نفسك الا اعترافي وحده ، فاني تسللت البارحة الى منزل هؤلاء القوم ، وسرقت بعض متاعهم فادركوني جميعاً وانتزعوه مني ، وحملوني اليك ، وها انذا ارتقب جزائي المحقق على ما كسبت يداي !

قال الاصمعي :

فاطرق خالد متجها ، ولكنه لم يسمه الا ان يزجه في السجن ربثما يذيع المنادي في البصرة ان يجتمع المسلمون غداً ليشهدوا مقاضاة عبد الله .

اما عبد الله هذا ، فانه ما كاد يستقر في غيب السجن حتى تنفس الصعداء ، وانطلق يضحك مع نفسه وهو يقول :

هددني خالد بقطع يدي ... ان لم أبح عنده بقصتها

فقلت هيهات ان ابوح بما ... تضمن القلب من محبتها

قطع يدي بالذي اعترفت به ... اهون للقلب من فضيحتها

فسمعه الحراس كلهم من كثب وسرعان ما ابلغوا الامير بذلك . فلما سجا الليل دعاه خالد الى غرفة منعزلة ، واعرب

(١) عنصر القصة مقتبس من رواية الاصمعي . غير ان اسم « عفراء » واسم « عبد الله » اطلقناهما نحن على العاشقين المجهولين

بادئ الامر ، عن اشفاقه عليه ، وعن مدى ارتيابه في جملة التهمة وتفصيلها . ثم قال :

وقد اخبرني القائمون على سجنك ، بانك انشدت اليوم اتياتا تختلج بمطلب تخفيه في قعرك ، وتأبى ان تبوح به على رؤوس الاشهاد . وهأنذا ، ياعبد الله امحضك النصيحة واتيح لك الفرصة ان تثوب الى التأمل والاطراق ، فتعترف غداً ولو ببعض الحقيقة ، على مسامع الناس لاقضي ببراءتك وادفع عنك قطع يدك وتأثيم سمعتك ، فان المرء لن يحيا حياة النبلاء بغير السمعة ونصاعة الاخلاق .

ثم امر به الى السجن تارة اخرى .

بات الفتى في سجنه متفائلا قرير الفؤاد . اذ كان يعلم ان التهمة التي اختلقها انفسه كفيلة وحدها بانقاذ حبيبته البريئة من ظنون التأثيم حتما ، وعاداً عساه ان يرجو الا براءتها هي وما ايسر ان يفقد يداً تحت سكين الجلاد ثمناً . . بل زكاة الحب الصادق .

ثم كان الصباح . .

واخرج عبد الله من سجنه يحجل حجلا في اخدود بين صفين من الجنود المسلحين ، وبين صفوف غامرة من الرجال المتفرجين والنساء المتفرجات .

قال الاصمعي ؟

واقبل الامير نفسه يتهادى بين لفيف من القضاة والاعيان واعتلى منصة القضاء تجاه موقف [المتراهنين] . واستفتح التحقيق بسائل عبد الله :

— ان قوما يزعمون انك دخلت منزلهم وسرقت بعض متاعهم فماذا تقول ؟

— صدقوا ، ايها الامير ، لقد دخلت منزلهم وسرقت منهم بعض المتاع .

— ألعلك سرقت منهم دون النصاب ؟

— كلا ايها الامير ، وانما سرقت منهم نصابا كاملا .

— لعلك شريك القوم في شيء من متاعهم ؟

— كلا ، بل هو جميعه لهم ، وليس لي فيه حق .

فحملق خالد في وجه الفتى ؛ كأنه يذكره بحديثه معه ليلة امس ثم قال :

— اذا انت لم تكشف لنا عن خبيئة امرك عاجلا ، فما يسعنا الا ان نقطع يدك .

— انا اعرف ذلك تماما ، ولا اريد ان اضاعف جنايتي عند الله بالكذب .

فاستشاط خالد منه غضباً ثم دعا الجلاد ليقطع يده . !

وكانت (عفراء) في تلك الساعة الرهيبة واقفة تبكي وترتجف بين جمهرة النساء ، ولكنها ما ان ابصرت بالجلاد يتقدم نحو حبيبها ؛ حتى شهقت شهقة هائلة واندفعت كالسهم المارق صوب الامير وهي تصرخ :

بالله عليك ، ايها الامير ! الا ما قرأت هذه الرقعة قبيل نفاذ الحكم !

وصاح الجمهور من هناك ومن هنالك : ومن كل مكان ليقرأ الامير ما في الرقعة .. ليقرأ الامير ما في الرقعة !

وتناول الامير منها الرقعة ، ونشرها بين يديه ، وجعل يقرأ فيها

أخالد هذا مستهام متيم ... رمته لحاظي من قسي الحدائق
فاصماه سهم اللحظ مني فقلبه ... حليف الجوى بين دائه غير فائق
اقر بما لم يقترفه لأنه ... رأى ذاك خيراً من هتيكة عاشق
فهلاً على الصب البريء لأنه ... كريم السجايا في الهوى غير سارق

ولما انتهى خالد من قراءة الرقعة ، ادرك على الفور كل شيء ونهض عن منصة القضاء ، واشرف على سائر الحاضرين ، وأعلن عفوه وصفحه الكريم عن الفتى عبد الله .

ودار الاسبوع دورة واحدة ، واذا العاشقان زوجان سعيدان يتعهدهما الامير خالد ، ووالد عفراء ، بكل عطف ومحبة وايثار .

النجف — صدر الدين احمد

بقية يتابع الاخبار من ص ٧٨

فهبط قلب المرأة ان يكون في موقف الجيوش العربية في فلسطين بعض الضعف ، ونسيت حنقها على وجيه وسألته بلهفة

— قل الله ولا فالك ياوجيه ! ماذا قلت ؟ قال وجيه وعيناه تزدادان احمراراً : خمسمائة قتيل فقط ؟ جيش طويل عريض لايقتل من اليهود الحشرات الا خمسمائة قتيل فقط ؟ ثم يقال لي لاتسكر ياسيد وجيه .. !

دمشق: حسيب الكيالي